١١

الموقف من التصوف الإسلامي في الفكر العربي المعاصر

ادونيس انموذجا

أ. م. د. علاء جعفر

استاذ في قسم الفلسفة كلية الآداب

جامعة المستنصرية

أ.م. رغد سليم

استاذ مساعد في كلية العلوم الإسلامية جامعة بغداد.

الورقة البحثية....

ظهر التصوف الإسلامي في البلاد العربية في العصر العباسي(القرن الثاني) واقبل الناس على التصوف لما فيه من تهذيب النفوس وغير ذلك فوجد لنفسه مكانة مرموقة في البلدان الإسلامية التي انتشر فيها

- وتعد سوريا من البلاد الإسلامية التي تضمن طيفاً واسعاً من الأديان والطوائف والمذاهب.
- وقد كان المكون الأكبر فيها خلال العقدين الأخرين هم السنة فقد كان عددهم ٧٥٪ من الشعب السوري نفسه ومن رواده ودعاته جلال الدين القاسمي إلا أن هذا الخطاب مع الوقت همش وأقصي ولم يعد في سوريا إلا الخطاب العلمي السلفي الذى أقصى بدوره أيضا.
- وقد كانت البنية المعتدلة للمجتمع السوري غالباً ما اتسمت بالتوجه الصوفي.. والصوفي هو امتداد لتاريخ طويل من تقليد مشي عليه الكثير من علماء الشام عبر الطرق الصوفية الشهيرة كالشاذلية والنقشبندية ،والدعوة العثمانية كانت تدعم الوجود الصوفي في بلاد الشام ،لذا لاقى هذا الخطاب قبولاً لدى الشرائح الشعبية ونخبة من العلماء.
- واستطاع مجمع أبو النور.. في عهد بشار الأسد بالإضافة إلى مشايخ تصوف آخرين أن يلقوا قبول كبير داخل وخارج سوريا.. ومن أبرز داعمي الخطاب التقليدي في الوقت الحالي كتابات الشيخ البوطي صاحب الطريقة النقشبندية إلا أنه كان يعارض بعض الممارسات الصوفية.[1]
- قال البوطي أيضا: كان أبى يجزم بأن التصوف النقي هو جوهر الإسلام ولبابه ، وأن على مسلم لم يشرب حقيقة التصوف فقد حبس نفسه في معاني الإسلام ولم يصل بنفسه إلى حقيقة الإيمان. فالتصوف ليس بكلمات تورث أو تنقل ولا معارف تحفظ ،وإنما هي حالة تتلبس بكيان المسلم ويرتقى بها إلى مستوى شهود الله ، فالنصوص وحدها ليست هي الحافز الكافي لانضباط المرء.٠إن الالتزام الحقيقي بأوامر الله يأتي نتيجة ازدهار ثمرات الإيمان بالله في القلب..[2]
- وكان الشيخ محمد عدنان الأفيوني (مفتى دمشق) من أكبر رجال التصوف بسوريا والعالم الإسلامي للطريقة النقشبندية ومن مؤسسي الاتحاد الصوفي العالمي باندونسيا.[3]

- ويرى صادق جلال المعظم: أن لأصحاب وثبات الإيمان وللمتصوفين تجارب ذاتية عميقة وقناعات تستند إلى هذه التجارب ، ولكن ما شكله الصوفية من أقوال وما قاموا به من تجارب ،قدموا أدلة مقنعة وكافية على وجود الله باعتباره الكائن الذى يتصل به المتصوف ويتحد معه.[4]

- وعلى الجانب الآخر الخطاب التجديدي الذى يسعى إلى تقديم قراءة جديدة للنصوص الإسلامية هدفها إعادة الروح للأمة الإسلامية كالشيخ جودت سعيد الذى اشتهر بمقولاته عن اللاعنف

- والأكاديمي محمد شحروح المعروف بمنهج القراءة المعاصرة للقرآن الكريم.[5]

فيرى الدكتور محمد شحرور : أن الصوفية اتبدلوا البحث العلمي بالزوايا والتكايا المليئة بمضيعة الوقت والخزعبلات وحلقات الدرس بل إن العثمانيون حين خرجوا من سوريا كان هناك مدرسة واحدة ومئات حلقات الذكر ،وبالمقابل كان في كل بلد عشرات المشايخ ومن فقهاءومتصوفة هدفهم الأساسي تحذير الناس وابعادهم الناس عن مشاكلهم المباشرة وأعدائهم الحقيقيين.[6]

من هنا يظهر لنا أن المفكرين في سوريا منهم من يحث على التصوف الصحيح والتحذير من المخالفات ومنهم من ينظر إلى أن التصوف مدعاه للخرافة والتخلف الفكري.

- ومن ابرزالمفكرين السوريين الذين تناولوا التصوف الإسلامي المفكر والشاعر السوري أدونيس وهو يرى أن التصوف فيه تشابه مع السوريالية في كثير من الأمور فكلاهما يسعى إلى التماهي مع المطلق ومدار الصوفية على اللامعقول واللامعروف وكذلك السوريالية..و أن كلمة الصوفي ترتبط بما هو خفي وغيبي، وأما اتجاه الناس إلى التصوف قد أملاه عجز العقل(والشريعة الدينية) من الجواب عن العديد من الأسئلة العميقة عند الإنسان فضلاً عن عجز العلم ..ولعل هذا هو ما صرف الاتجاه نحو الصوفية ، وهو نفسه سبب نشأة السوريالية.فقد كان مدار الدعوى الصوفية على اللامعقول ، واللامرئي، واللامعروف ، وكذلك في السوريالية فهي حركة لقول ما لم يقل أو ما لا يقال.و أن الصوفي يهدف إلى أن يتماهى مع الغيب المطلق وكذلك السوريالي يهدف إلى تحقيق الأمر نفسه.

ومع هذا المزيج من الأفكار يشير أدونيس إلى "بؤس القراءة النقدية للتصوف وعدم فهمها ، وبؤس المستوى النظري المعرفي عند دارسي الثقافة العربية. وفى ذلك يقول فإن هدفي ليس كون الصوفية والسوريالية شيء واحد أو أن التجربة الاولى أثرت في الثانية وإنما الهدف هو التأكيد على أن في الوجود جانباً باطناً لا مرئياً ، مجهولاً وأن معرفته لا تكون بالطرق المنطقية العقلانية ، وأن الإنسان دونه ، ومن غير محاولة الوصول إليه ، كائن ناقص المعرفة والوجود[7]."

---

[1] عصام عيدو، البوطي : الفتوى والثورة –٢٠١٨م، http://alaalam.org/ar/politics–٥٧٦٠٥١٢١٨–٧٤٦/ar/item

[2] محمد سعيد البوطي، هذا والدي ، دار الفكر– سورية،–٢٠١٦م، د.ط ص٩٨–١٠٠

[3] عمرو رشدي، صوفي ينتمي للنقشبندية(تعرف على مفتى دمشق الذى استشهد بسوريا)، ٣٢٣٤٨٦٦/https://www.dostor.org

[4] صادق جلال العظم، نقد الفكر الديني ، دار الطليعة للطباعة والنشر–بيروت، الطبعة: الثانية–١٩٧٠م، ص٦٩

[5] عصام عيدو، البوطي : الفتوى والثورة –٢٠١٨م، http://alaalam.org/ar/politics–٥٧٦٠٥١٢١٨–٧٤٦/ar/item

[6] محمد شحرور، الكتاب والقرآن ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع–سورية ،د.ط،ص٥٨٧

[7]. أدونيس، الصوفية والسوريالية، دار الساقي، د، ط، ،ص ١٥